مفاهيم أولية

النَّحو لغة واصطلاحاً

يجب التّفريق في أي مصطلح بين معناه اللّغويّ ومعناه الاصطلاحيّ. والمراد بالمعنى اللّغويّ هو المعنى العام للكلمة أو المفهوم العام لها. أمّا المعنى الاصطلاحيّ فهو المعنى الضيِّق للمفهوم، أي هو المعنى الخاص الَّذي اتفق عليه أصحاب اختصاص ما.

فما هو النَّحو؟ وما هو علم النَّحو؟ وما الفرق بينهما؟

النَّحو لغةً: هو القصدُ والطَّريق، وهو مصدر الفعل (نَحَا نَحْواً)؛ أي: اتَّجهَ اتِّجاهاً أو سَلَكَ طريقاً، والغايةُ منهُ عِصمةُ اللِّسان ... أي أنْ تَسيرَ على نهجِ كلامِ العربِ في استقامةِ كلامِها.

علم النَّحو اصطلاحاً: هو علمٌ بقواعِد تُعرَفُ بها أحوالُ الكلمة عندَ تركيبها في جملة أو كلام مُفيد

مصطلحات علم النَّحو

١. الكلام

هو ما تركَّبَ من كلمتَين فأكثرَ، وأدَّى معنىً مستقلّاً، ومن ذلكَ قولنا: حضر الطَّالبُ، فازَ المُجِدُّ، لنْ يُهمِلَ المُجِدُّ واجِبَهُ. فلا بُدَّ من وجود أمرَين في الكلام هما:

- **التّركيب: (الإسناد)**، فالكلمة المُفردة المستقلّة لا تُسَمَّى كلاماً.
- **الإفادة المستقلّة:** فإذا قلنا: (نَدِمَ) ... لمْ تُفِدْ فائدة مستقلّة، وإذا قلنا: (إنْ يَعُدْ سعيد) لمْ يَكُن كلاماً على الرَّغم من أنَّهُ مُركَّب، لكنَّ الفائدة لمْ تتَحقَّق منهُ؛ لأنَّ جواب الشّرط لم يكتمل.

والإسناد في اللُّغة معناه الارتكاز على شيء ما، وما يُعتمد عليه من حائط أو غيره، والاستناد إليه.

والإسناد في الاصطلاح: علاقة تربط عنصرين لغويّين ببعضهما، فيسمى أحدهما (المُسند) ويسمى الثّاني (المسند إليه). والمسند إليه لا يكون إلّا اسماً، ولذلك يكون المسند إليه فاعلاً، أو نائب فاعل، أو مبتدأ، ولا يكون المسند إليه فعلاً أو حرفاً.

أما المسند فيمكن أن يكون اسماً أو فعلاً، من ذلك قولنا:

العِلْمُ مفيدٌ

فـ (العلم) هو (المسند إليه)؛ لأنَّه هو القطب الرّئيس في الجملة، وهو المحور الَّذي يُراد أن نخبر عنه بـ (المسند): (مفيد).

وإذا قلنا:

الصّدق يُنجي صاحبهُ

نجد أنّ المحور (المسند إليه) هو (الصّدق)؛ لأنّنا أردنا أنْ نخبر عنه بأنّه (يُنجي) صاحبه، فالفعل (يُنْجي) هو المسند الَّذي يدور في فَلَك (المسند إليه)، فالمسند إليه (أشبْهُ) بالنّواة في الذرَّة (والمسند) أشبه بما يدور حولها.

فإذا قلنا:

يفوز المُجِدُّ

كان (المُجدُّ) هو المسند إليه، والفعل (يفوز) هو المسند، فالفعل هو المُسند دائماً، والمسند قد يكون مسنداً، كما مرّ معنا في مثال سابق، ولكن المُسند إليه شرطه أن يكون اسماً.

٢. الكَلِمُ

الكَلِمُ هو ما كانَ مركَّباً من ثلاثة عناصر لغويّة فأكثر، سواء أكانَ لها معنىً مفيد أم لم يَكُن، فإذا قلنا: (اللَّيلُ سوادُهُ حالكٌ)، و(العِلمُ سُبُلُهُ كثيرةٌ) كانَ هذا كَلِماً؛ لأنَّه مؤلَّفٌ من ثلاث كلمات، وهو ذو فائدة.

وإذا قلنا: (إنْ يَجتَهدْ خالدٌ) كانَ هذا (كَلِماً) أيضاً؛ لأنَّ عدد العناصر اللغويّة المكوِّنة لهُ (ثلاثة)، وهو معَ ذلك لم يحقِّق فائدةً؛ ذلكَ أنّهُ رُكِّبَ من:

- ✓ إنْ = حرف شرط جازِم.
- ✓ يجتَهِدْ = فعل الشّرط المجزوم.
- ✓ خالدٌ = فاعل فعل الشّرط.

وهو مُركَّبٌ نَقَصَ منهُ (جواب الشّرط)؛ لذلك لم تتحقَّق منه الفائدة المرجوّة.

٣. القول

كلّ مَا تلفّظ به الإنسان من غير النّظر إلى تحقُّق الفائدة فيه أو عدم تحقُّقها، ومن غير النّظر كذلك إلى تركيبه أو إلى إفرادِهِ ... فهذا المصطلح يعمُّ كلًّا مِنَ الكلمة، والكلام، والكَلِم، فما سبقَ أنْ مثَّلنا بهِ فهو يعني "كلَّ مَا تحرَّكَ بهِ اللِّسان".

٤. الكلمة

مَا تألَّفَ من عددٍ من (الأحرُف)، أقلّها: حَرفان، وأكثرها سبعة أحرُف، وهذه الأحرُف تُسمّى –عندَ بعض النُّحاة– أحرف المباني؛ لأنَّها الأساس في صَوغِ الكلمة وبنائها.

تنبيهات:

١- لا تزيد الأحرف المُكَوِّنة للاسم على سبعة أحرف، نحو: (اسْتِحْسَان).
٢- لا تزيد الأحرف المُكَوِّنة للفعل على ستّة أحرف، نحو: (استَحْسَنَ).
٣- لا تزيد الأحرف المُكَوِّنة للحرف على خمسة أحرف، نحو: (لكنَّ).

فالكلمات نحو: (فَم)، (عَين)، (رَيحان)، (سَماء) ... كلّها كلمات لا يَدخُلُها إعرابٌ ولا بناء؛ لأنَّها لم تَدخُلْ في تركيب، والكلمة مَا لمْ تدخل تركيباً لا يُقال فيها: إعراب، ولا بناء ... ولكنَّ كلّ كلمة منها تؤدِّي معنىً منفرداً، وهو ليسَ المعنى الحاصِل بعدَ تركيبها في جملة، فإذا قلنا: (رَيحان) دلَّت هذه الكلمة على معنىً مستقلّ يُراد به هذا النّوع من النَّبات ذِي رَائحة طيّبَةٍ، ولكنّنا إذا قلنا: (ريحانُ الحديقةِ مُنَسَّقٌ) كان المعنى الحاصل بعد التّركيب غير المعنى المُراد من المفردة (ريحان) وحدها.

ولكنَّ دلالة مصطلح **(الكلمة)** قد تتَّسع، فلا يُقتَصَرُ فيه على المعنى المفرد الَّذي تدلُّ عليه جملة الحروف المكوِّنة لهُ ... فقد تشمل في معناها:

١. الخُطبة: فنقول مثلاً: (ألقَى عميد الكلية كلمةً جميلةً)، فالمُراد بـ (الكلمة) ههنا: الخُطبة في مجموعِها.
٢. الجملة: ففي قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون ٢٣: ٩٩] فـ (ربِّ ارجِعونِ) كلٌّ منهما جملة، وفي الرَّدِّ عليهِ قالَ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣: ١٠٠].
٣. القصيدة أو البيت الشِّعري: نحوَ قول النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم–: (أفضلُ كلمةٍ قالَها شاعرٌ كلمةُ لبيد: [الطّويل]

ألا كلُّ شيءٍ مَا خَلا اللهَ باطلُ)

ومن ذلكَ قولهم: (قالَ المتنبِّي كلمةً في هجاءِ كافور)، أي قالَ قصيدةً.

والكَلِـمُ: مُفردهُ (كلمة)، ولا يكون الكَلِم أقلّ من ثلاث كلمات، ولكنّه قد يزيدُ على ذلك ... ومفرد "الكَلِم" يُعرَف بزيادة (تاء التّأنيث) إلى آخرِهِ، فـ (الكَلِمُ) مفردهُ (كلمة)، و(الشَّجر): (شجرة)، و(التَّمر)/ (تَمرة)، فمعنى الكَلِم معنى الجمع، ولكنّه يتحوّل إلى المفرد بزيادة تاء التّأنيث على آخرِهِ، ولذلكَ يُقال فيه: "هو ما يُفرَّقُ بينَهُ وبينَ واحدِهِ بزيادة تاء التّأنيث[١]"، ويُطلق عليه (اسم جنسٍ جَمعيّ).

---

١ – يراد بها التّاء الدّالة على الوحدة.

أقسام الكلمة

١. الاسم: ويُعَرَّفُ بأنّهُ: كلمة تدلُّ بذاتها على شيءٍ محسوس، أو غير محسوس (عقليّ // معنويّ)؛ ولهُ جملة علامات.
٢. الفعل: يُعرَّف بأنّه: كلمة تدلُّ بصيغتها على معنى يُدرَكُ بالعقل، وعلى زمنٍ يقعُ فيه؛ وله أقسام وعلامات.
٣. الحرف: كلمة لا تدلُّ على أيِّ معنى ما دامَت منفردة أي غير مركّبة؛ ولهُ أقسامٌ أيضاً.

٥. العُمْدة والفضلة

ذكرنا من قبل أن المسند والمسندَ وإليه عنصران لغويَّان أساسيان في تركيب الكلام، فلا تقوم جملة من غيرهما. ويمتاز المسند إليه بأنّه لا يكون إلّا اسماً، لأن الإسناد علامة من علامات الاسم. أما المسند فقد يكون فعلاً وقد يكون اسماً، نحو قولنا:

نجحَ المجِدّ

مسند **مسند إليه**

فالفعل (نجح) مُسْند، و (المجِدّ): مسند إليه.

وقي قولنا:

المجِدّ ناجحٌ

مسند إليه **مسند**

فالعُمْدة في الكلام ما كان واحداً من (المسند) و(المسند إليه). وأقلُّ الكلام ما كان مسنداً ومسنداً إليه، فلا يستغني أحدهما عن الآخر. قال سيبويه في تعريف المسند والمسند إليه: "هذا بابُ المسندِ والمسند إليه، وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجدُ المتكلِّم منه بدّاً. فمن ذلك المبتدأُ والمبنيُّ عليه، وهو قولك: (عبدُ اللهِ أخوكَ)، و(هذا أخوك). **ومِثْلُ ذلك**: (يذهبُ عبدُ اللهِ)، فلابدّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بدٌّ من الآخر في الابتداء".

والأصل أن يوجد (المسند والمسند إليه)، ولكنْ قد يُحْذفُ أحدهما، وهنا لا بدَّ من تقدير المحذوفِ، وذلك نحو قولنا: (سعادُ تقرأُ).

فالفعل (تقرأُ): مسند، ولكنَّ (المسند إليه) قد أُضْمر، ولذلك لابدَّ من تقديره، ويكون الضَّمير المقدَّر (هي) مسنداً إليه، وتقدير الكلام:

سَعَادُ تقرأُ [هي]

فالفاعل الَّذي هو ضمير مستتر قُدِّر تقديراً، وهو المسند إليه.

<u>ومثله قولنا:</u> (أخي كانَ مسافراً)

فاسم (كانَ) هو المسندُ إليه، وهو محذوف نُطْقاً، ولا بدَّ من تقديره، والتّقدير:

أخي كان [هو] مسافراً

وعلى هذا نجد أنّ العُمْدة في الكلام:

المبتدأ + الخبر = إذا كانت الجملة اسميّة.

الفعل المبني للمعلوم+ الفاعل } إذا كانت الجملة فعليّة.

الفعل المبني للمجهول+ نائب الفاعل

وما بقي من عناصر لغويّة في الكلام يُسمَّى (فَضْلة)، ومنها: المفاعيل (المفعول به – المفعول المطلق – المفعول لأجله – المفعول معه) والتمييز، والجارّ والمجرور....

ولا يعني تسميتها (فضلة) أنها غير لازمة أو غير ضرورية في المعنى، ولكن المقصود أنها ليست عنصراً مركزياً في تكوين الجملة. لأنّ بعض الفضلات قد لا يتم المعنى إلا بها، وهي ليست مسنداً ولا مسند إليه. ففي قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء ٤: ٤٢]، تعرب الجملة: [وأنتم <u>سُكَارى</u>]: في محل نصب حال. و(الحال) ليس عمدة، فهي ليست مسنداً ولا مسنداً إليه، ولكن مع ذلك توقَّف تمام معنى الكلام على جملة الحال.

٦. الشَّاهد والمثال

- <u>الشَّاهد:</u>

لـم يـبنِ علمـاء العربيّـة قواعـدهم النَّحويّـة علـى أمـور خياليَّـة لـيس لهـا سَنَدٌ مـن الواقـع، وإنَّمـا اعتمـدوا فـي تقعيـد قواعـدهم النَّحويـة علـى أسـس مـن مـادَّة لغويّـة مدوَّنـة أو مسـموعة اسـتقرَوْها، واستندوا إليها في الاستدلال على ما يؤسسون من قواعد.

وقـد أَطلقـوا علـى هـذه المـادة اللغويّـة مصـطلح (الشَّـاهد)، ويُعـرَّف الشَّـاهد بأنّـه: **الكـلام الفصيحُ المتّخذ دليلاً على صحَّة بناء القاعدة النَّحوية.**

وشـكّل تراثنـا العربـي المحفـوظ والمسـموع المدوَّنـة اللغويّـة الَّتـي اتكـأ عليهـا العلمـاء فـي الاحتجـاج لقواعـدهم والاسـتدلال عليهـا. ولا يعنـي هـذا أنَّ النُّحـاة هـم الـذين جمعـوا اللُّغـة بأنفسـهم، "ولكنَّهم شاركوا فيها من لا عمل له في النَّحو، إذ كان جمع اللُّغة سابقاً لظهور هذا العلم"[٢].

لقـد شـدَّد النُّحـاة علـى أنفسـهم، وضـيَّقوا الخنـاق، حتَّـى لا تتفلَّـت مـن بـين أيـديهم القواعـد المطَّـردة، ولـذلك لـم يتهـاونوا فـي اسـتقراء المـادة اللّغويّـة النقيَّـة؛ ليقفـوا علـى طـرق العـرب وأسـاليبها في بناء الكلام.

٧. الرّقعة الزّمانيّة والمكانيّة للشَّاهد

وقد حدّوا لهذه الشواهد حدّين أساسين، هما:

١- **الرّقعـة المكانيّـة:** وقـد دفعهـم ذلـك إلـى التّفريـق بـين لغـة الباديـة ولغـة الحاضـرة (المـدن)، وجعلـوا لغـة الباديـة هـي الأسـاس فـي أخـذ الشّـواهد منهـا، وفرَّقـوا بـين قبائـل تسـكن وَسَـط الجزيـرة العربيّـة وقبائـل تسـكن علـى أطرافهـا. وجعلـوا الأولـى هـي منبـع شـواهدهم. ومـن هنـا نجـد أنّهـم أخـذوا عـن قبائـل الوسـط، مثـل: قَـيْس، وتَمـيم، وأَسَـد، وطيّـئ، وهُـذَيْل؛ لأنّ موطنهـا (نَجْـد) و(الحجـاز)، وابتعـدوا عـن الاستشـهاد بأشـعار قبائـل (لَخْـم) و(جُـذَام) و(قُضَاعةَ) و(غسَّانَ) و(إيَاد)؛ لأنها تسكن على أطراف الجزيرة.

٢- **الرّقعـة الزّمانيّـة:** فقـد حـدُّوا ذلـك بـالقرن الرّابـع قبـل الهجـرة إلـى القـرن الرّابـع بعـد الهجـرة، ولكنّهم قسموا هذا الامتداد الزّمنيّ **قسمين:**

- الاحتجاج للقواعد النَّحوية.
- الاحتجاج للمعاني.

وجعلـوا الاحتجـاج الأوّل مختومـاً بـابن هَرْمـة القرشـيّ، وهـو المتـوفىَّ سـنة (١٧٦ هـ)، وسيبويه لم يتجاوز هذه المرحلة.

---

[٢] – يراد بكلمة (العلم) ههنا: علم النحو.

وقد أجاز النُّحاة الاحتجاج بأشعار أبي نواس، وأبي تمّام، والبحتريّ، والمتنبي في المعاني لا في وضع القواعد وتأسيسها "ولذلك صدَّ النَّحويون عن الاحتجاج بلغة هؤلاء إلّا ما جاء في كتبهم عَرَضاً[٣]".

ولكنّ متأخري النُّحاة أمثال الزّمخشريّ، وابن هشامٍ وغيرهما، كانوا بذلك "أقرب إلى التّساهل في شواهدهم من القدماء، لبعدهم عن عصور المشافهة وأيام الفصاحة".

٨. مصادر النُّحاة في شواهدهم

وكانت مصادر شواهدهم موزَّعة على النَّحو الآتي:

١- القرآن الكريم، كتاب العربيّة الأوَّل، الَّذي دوِّن في الصُّحف، وحفظته الصّدور.
٢- الشِّعر في العصر الجاهليّ.
٣- الشِّعر الإسلاميِّ حتى عصر هارون الرّشيد.
٤- أقوال البُدَاة العرب الفصحاء، وهم قوم ينتشرون في بوادي نَجْدٍ، وتِهامةَ، والحجازِ، وعُرِفتْ سلائقهم بالصحَّة، وعرفت ألسنتهم بالسّلامة من اللّحن.

وكان النُّحاة يسعَون إلى لقاء هؤلاء الأعرابِ الأقحاحِ، إمّا في البادية موطنِ عيشهم، وإمَّا في الأسواق التجارية والأدبية، مثل سوق المربد[٤].

٥- الحديث النّبويّ الشَّريف: وقد كان للنُّحاة ثلاثة مواقف من الاحتجاج بالحديث، **أولها:** يرفض الاحتجاج به، وعلّته أنّ الحديث تعرَّض للوضع على يد كثير من الكذّابين والوضّاعين. **وثانيهما:** توسَّع في الاحتجاج به. **وثالثهما:** رأى الاحتجاج بما صحَّ أو حَسُنَ منهُ، واستدلَّ على رأيه هذا بما وصل إليه علمُ الحديث من دقَّة في الرّواية والضّبط في متنهِ وسندهِ، والتعمُّقِ في رجالهِ، والتّفريق بين صحيحه وحسنه وضعيفه وموضوعه، وعدّوا ما صحَّ منه يتبوّأ المنزلة الثّانية في الفصاحة بعد القرآن الكريم.

وكلُّ ما يُسْتدلّ به من نصوص المصادر الخمسة السّابقة يسمَّى الشَّاهد، فإذا احتجَّ النَّحْويُّ بما هو غير ذلك إنما يسمَّى (مثالاً) أو تمثيلاً، ولو كان مُجْمَعاً على فصاحة صاحبه. ومن ذلك ما قد يرد من أمثلة شعرية لشعراءَ كأبي تمامٍ، والبحتريِّ، والمتنبيِّ، والمعريِّ، وغيرهم ممَّن لا يدخلون تحت الرّقعة المكانيّة أو المدَّة الزّمنية الَّتي حدَّد العلماء الاستشهاد بنصوصها، كما ذكرنا من قبل.

---

[٣] – عَرَضْا: أي من غير قصد، ولكن على سبيل الاستئناس.

[٤] – المِرْبد: على وزن (مِنْبَر) هو موضع في البصرة.

ولنزيد ذلك وضوحاً نورد فيما يأتي نموذجاً لما يُسمَّى (الشَّاهد) وآخر لما يسمَّى (المثال = التمثيل):

- **الشَّاهد:** قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ [الكهف ١٥: ٧٩].

<u>وهنا نقف على قضيتين في هذا الشَّاهد وأمثاله:</u>

١- موضع الشَّاهد: هو موضع الاستدلال الَّذي أتينا بالشَّاهد لتأييده.
٢- وجه الاستشهاد: هو القاعدة أو الحالة الَّتي أردنا أن نستدلَّ بالشَّاهد عليها.
ففي الشَّاهد القرآني السّابق نقول:

- موضع الشَّاهد: (أمّا).
- وجه الاستشهاد: مجيء (أمّا) حرفَ تفصيلٍ.

ولنأخذْ شاهداً من الشِّعر الَّذي يُحتج به، وهو قول بشر بن أبي خازم الأسديّ[٥]:

[الكامل]

ثَوَى في مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنهُ كفَى بِالمَوتِ نَأيًا وَاغتِرابَا

- موضع الشَّاهد: <u>كفى بالموت</u>.
- وجه الاستشهاد: جواز جرّ فاعل الفعل (كفى) اللّازم بالباء الزّائدة، وهي زيادة جائزة لا واجبة.

- **المثال:** أمّا قول أبي الطّيب المتنبي: [الخفيف]

لَيسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ سِيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ

فهو مثالٌ لا شاهد.

ونقول فيه: وجه التّمثيل: استعمل المتنبي الضّمير المتَّصل (الكاف) بعد أداة الحصر (إلّا) والأصل أن تأتي بعدها ضمير منفصل، نحو: (هو)، (هي).

---

[٥] – المُلْحَدُ: الشقُّ الذي يُعْمل في جانب القبر لوضع الميت فيه.